

الحلقة الثانية
قصص الستيرة

القصص الذي

النبي الصالح

عبد الحميد جودة السحبار

٢٣

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِي يَدِهِ غُلَامٌ ، وَقَالَ لَهُ :
— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامًا كَيْسَ ،
فَلِيَخْدُمْكَ .

فَرَاحَ أَنَسٌ يَخْدُمُ النَّبِيَّ فِي سَفَرِهِ وَفِي إِقَامَتِهِ ،
فَيُزَدَّادُ حُبًّا لَهُ ؛ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا بِهِ
شَفِيقًا ، وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ ، أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ خَاجَةً ،
فَخَرَجَ أَنَسٌ ، وَمَرَّ عَلَى صِيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي
السُّوقِ ، فَوَقَفَ يَلْعَبُ مَعَهُمْ ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى حِيتُ
أَمْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَمِنْ الْوَقْتِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى السُّوقِ ،
فَرَأَى أَنْسًا يَلْعَبُ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَقَبَضَ بِقَفَاةِ مِنْ
وَرَائِهِ ، فَنَظَرَ أَنْسٌ خَائِفًا ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ
يَضْحَكُ ، وَيَقُولُ لَهُ :

- يَا أَنْسُ ، ذَهَبْتَ حِيثُ أَمْرُتُكَ ؟

فَقَالَ لَهُ أَنْسٌ :

- نَعَمْ ، أَنَا ذَاهِبٌ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَذَهَبَ أَنْسٌ ، وَلَمْ يَنْهَرِهِ النَّبِيُّ ﷺ . لَقَدْ خَدَمَهُ
أَنْسٌ تِسْعَ سِنِينَ ، وَمَا قَالَ لَهُ لَشَيْءٌ صَنَعَهُ : لَمْ
صَنَعْتَ هَذَا ؟ وَلَا لَشَيْءٌ لَمْ يَصْنَعْهُ : لَمْ لَمْ تَصْنَعْ
هَذَا ؟ وَإِذَا لَامَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ أَنْسًا ، قَالَ لَهُ :

- دُعُوهُ ، لَوْ قَدِرَ أَنْ يَكُونَ كَانْ .

فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً .

وكان رسول الله ﷺ رحيمًا؛ يرحم الضعفاء،
ويحب الأطفال حتى إنه كان يخرج إلى الناس
ـ إذا جاء أوان الصلاة ـ وعلى عاتقه طفل أو طفلة
من أبناء أصحابه، ويصلّي والطفل على كتفيه، فإذا
ركع وضعه، وإذا رفع رفعه.

وفي ذات يوم، دخل عليه بعض الرجال، وهو
جالس وفي حجره الحسن بن علي، يضمّه في
رُفق، ويقبله في حنان، فأنكر الرجال منه ذلك،
حتى إن أحدهم قال :

- إِنَّ لِعَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ ، مَا قَبَّلَتْ مِنْهُمْ أَحَدًا !!

فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ :

- مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ .

وَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ فِي إِنْكَارٍ :

- تُقْبَلُونَ الصَّبَّيَانَ ، فَمَا تُقْبِلُهُمْ !!

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَرَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ ؟

كَانَ رَحِيمًا ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ أَسَامِةَ بْنَ زَيْدَ
ابْنَ مَوْلَاهُ ، فَيَقْعُدُهُ عَلَى فَخْدِهِ ، وَيُقْعُدُ الْحَسَنَ عَلَى
فَخْدِهِ الْأُخْرَى ، ثُمَّ يَضْمُمُهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ :

- اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا ، فَإِنِّي أَرْحَمْهُمَا .

وكان يَعْطِفُ عَلَى الْحَيْوَانِ ، وَيَحْضُرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْعَطْفِ عَلَيْهِ ... كَانَ رَءُوفًا بِنَاقِتِهِ الْعَضْبَاءِ ، وَبِيَغْلِتِهِ دُلْدُلٌ . وَكَانَ يُوصِي أَصْحَابَهُ بِالْحَيْوَانِ خَيْرًا ، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ :

— بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطْشُ ، فَوَجَدَ بَشَرًا ، فَنَزَّلَ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ : (يُخْرِجُ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطْشِ) ، يَأْكُلُ التَّرَى : (التَّرَابَ) مِنَ الْعَطْشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ :

— لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطْشِ ، مِثْلُ الَّذِي

بلغَ بِي .

فَنَزَلَ الْبَرُّ ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، فَسَقَى
الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ .

فَقَالَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟

فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدَ رَطْبَةً أَجْرٌ (أَيْ فِي كُلِّ مَا
تَدِبُّ فِيهِ الْحَيَاةِ) .

٤

وَكَانَ رَءُوفًا بِالضُّعَفَاءِ ، يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِرِعَايَتِهِمْ ؛
وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ ، جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَشْكُو مِنْ أَنَّهُ

لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُصْلِيَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ النَّاسِ ، لِأَنَّ
الإِمامَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ
يَحْتَمِلَ الْوَقْفَ الطَّوِيلَ ، وَالرُّكُوعَ الطَّوِيلَ ، قَالَ
الرَّجُلُ :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكَادُ أَتْرُكُ الصَّلَاةَ ، مَا يُطَوِّلُ
بَنَا فُلَانٌ .

فَغَضِيبَ النَّبِيِّ ، فَهُوَ مَا جَاءَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ ، وَمَا
كَانَ يَقْبِلُ أَنْ يُعذِّبَ الْمُضْعَفَاءِ الرَّاغِبِونَ فِي صَلَاةِ
الْجَمَاعَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

— يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ ، فَمَنْ صَلَّى
بِالنَّاسِ فَلْيَخَفَّ ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ ، وَالضَّعِيفَ ،
وَذَا الْحَاجَةِ .

وكان رسول الله ﷺ كريماً، فكان إذا وجد
محتاجاً أرسله إلى بلال، وكان خازنه، ليطعمه
ويكسوه، وفي ذات يوم، دخل رسول الله ﷺ
على بلال، وعندَه صُرَّةٌ من تَمْرٍ، فقال له :
— ما هذا يا بلال ؟

فقال له بلال :

— يا رسول الله ، ادْخُرْتُه لك ولضيوفك .

فقال له رسول الله ﷺ :

— أما تخشى أن يكون له بخار في النار ؟ أتفقد
بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا .

وكان يُعطى السَّائِلِينَ مُسْتَبْشِرًا ، لا يَنْهَرُهُمْ وَإِنْ
آذَوهُ . كَانَ يَمْشِي مَرَّةً مَعَ خَادِمِهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكَ ،
وَكَانَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِدَاءً غَلِيقَظُ الْحَاشِيَةِ ، فَجَاءَ
أَغْرَابِيًّا ، وَجَذَبَ رِدَاءَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً ، أَثْرَتْ فِي
عُنْقِ الرَّسُولِ وَآلِتَهُ ، وَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

— يَا مُحَمَّدًا ، مُرْلِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ .

فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ . لَمْ يَسْتُرْ وَلَمْ
يَغْضَبْ ، وَأَمَرَ لِلرَّجُلِ بِعِطَاءِ حَمَلِهِ وَانْصَرَفَ شَاكِرًا .

وَكَانَ لَا يَرُدُّ سَائِلاً ، وَلَا يَتْرُكُ مُحْتاجاً دُونَ أَنْ
يُعَاوِنَهُ ؛ خَرَجَ يَوْمًا وَمَعَهُ عَشْرَةُ دِرَاهِمْ ، فَذَهَبَ
وَأَشْتَرَى قَمِيصاً بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمْ ، فَخَرَجَ وَهُوَ عَلَيْهِ ،
فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْتِي إِلَيْهِ ، وَيَقُولُ :
— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اكْسُنِنِي قَمِيصاً ، كَسَاكَ اللَّهُ مِنْ
ثِيَابِ الْجَنَّةِ .

فَنَزَعَ الْقَمِيصَ فَكَسَاهُ إِيَاهُ ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَشْتَرَى
قَمِيصاً بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمْ ، وَبَقَى مَعَهُ دِرَاهَمَانْ ، وَسَارَ
وَإِذَا بِجَارِيَةٍ فِي الطَّرِيقِ تَبَكَّى ، فَقَالَ لَهَا :
— مَا يُبَكِّيكُ ؟

فقالت له وهي تبكي :

ـ يا رسول الله ، دفع إلى أهلى درهمين أشتري
بهما دقيقا فهلكا (فقدا) .

فدفع إليها رسول الله ﷺ الدرهمين الباقيين ،
وهم بالانصراف ، فإذا بها تبكي ، فدعها وقال لها :
ـ ما يُبكيك وقد أخذت الدرهمين ؟

فقالت :

ـ أخاف أن يضر بوني .

فمشي معها إلى أهليها ، حتى إذا أتاهم قال :
ـ السلام عليكم .

عرفوا صوته ، فلم يرددوا . فقال مرة ثانية :

ـ السلام عليكم .

فصممتو و لم يجيئوا . قال مرة ثالثة :

- السلام عليكم .

قالوا فرحين :

- وعليك السلام .

قال لهم : « أسمِعْتُمْ أَوَّلَ السَّلَامَ ؟ » .

قالوا :

- نعم ، ولكننا أحببنا أن تزيدنا من السلام .

وأقبلوا عليه يسألونه عما جاء به إليهم .

قالوا :

- فما أشخصك ؟ بأبينا وأمنا ؟

قال :

- أشفقت هذه الجارية أن تضرُّوها .

قال صاحبها :

- هي حرة لوجه الله ، لم مشاك معها .

وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ . وَهُوَ مُغْتَبِطٌ ، يَقُولُ :
— لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَشْرَةِ : كَسَا اللَّهُ نَبِيًّا
قَمِيصًا ، وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَمِيصًا ، وَأَعْتَقَ اللَّهَ
مِنْهَا رَقْبَةً ، وَأَحْمَدَ اللَّهَ ، وَهُوَ الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا
بِقُدْرَتِهِ .

وَمَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ يَلُومُ أَخَاهُ ،
لَا إِنَّ عِنْدَهُ حَيَاةً يَنْعُهُ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ أَشْياءً تُدْرِرُ عَلَيْهِ
أَرْبَاحًا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ :
— دَعْهُ ، فِإِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ .

كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل ،
قال له :

ـ ما الإيمان ؟

قال له الرسول :

ـ الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبِلقاءِه ،
ورسله ، وتؤمن بالبعث .

قال له الرجل :

ـ ما الإسلام ؟

قال له الرسول :

ـ الإسلام : أن تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ ، وَتُقِيمَ

الصَّلَاةُ ، وَتَؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

— مَا الْإِحْسَانُ ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ :

— أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنْكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

— مَتَى السَّاعَةِ ؟ (أَيْ مَتَى تَقْوُمُ السَّاعَةِ) ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ :

— إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ .

وَنَظَرَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوا الرَّجُلَ ، فَقَالَ الرَّسُولُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

— هَذَا جِبْرِيلُ ، جَاءَ يُعْلَمُ النَّاسَ دِينَهُمْ .